العلاقة بين الاعتقاد والمخيال في بناء الخلفية الاجتماعية للتراث الشعبي

الموروث الشعبي عند إموهاغ (التوارق) أنموذجا

زندري عبد النبي
المركز الجامعي تمنراست (الجزائر)

الملخص:

يعتبر التراث الشعبي من بين المواضيع التي يهتم بها في ظل الدراسات الإنسانية والاجتماعية ، لما له من مكانة في فهم أحوال الشعوب وتاريخها ؛ ذلك من اجل تحديد هويتها . فهناك من اهتم بدراسة الأسطورة والخرافة منهم الآخرون من توجه نحوى دراسة القصة والرواية وشعر الشعبي والأحاجي والإلغاز .... فهناك من ربطها بالبعد التاريخي والبعض الأخر من ربط دراستها ببعد الجغرافي أو البعد النفسي أو الاجتماعي. أما نحن في هذه الدراسة سنحاول ان نقوم بالوقوف عن العلاقة التي تربط بين الاعتقاد الاجتماعي والمخيال من جهة والخلفية الاجتماعية المكونة للموروث الشعبي من جهة أخرى ذلك من اجل بناء الموروث الشعبي . محاولين تمثيل ذلك في استعراض لبعض الممارسات الشعبية عند إموهاغ (التوارق) .

Résumé :

Le patrimoine populaire est parmi les sujets d'intérêt à la lumière des sciences humaines et sociales, en raison de sa position dans la compréhension des conditions du peuple et de leur histoire, afin de déterminer son identité. Il ya ceux qui se intéressent à l'étude du mythe et de la superstition, d'autres sont orientés vers l'étude de l'histoire et le roman et la poésie populaire et les énigmes et des puzzles… certains ont la lié à la dimension historique, d'autres ont lié son étude à la dimension géographique ou la dimension psychologique ou sociale. Nous allons essayer dans cette étude de tenir à la relation entre la croyance et l'imagination sociale d'une part et le contexte social, constitue l'héritée populaire d'autre part, afin de construire l'héritée populaire. En essayant de le représenter dans un examen de certaines pratiques populaires chez Imohag (Les Touaregs)

تقديم

لقد أضحى موضوع جمع ودراسة التراث الشعبي عند جميع الشعوب، من بين المواضيع الراهنة؛ ذلك لما لها من مكانة في تحديد الهوية لها. فإشكالية الهوية أصبحت مطروح في الواجهة ،ذلك لما للعولمة والمعية من تأثير في طمس الخصوصيات الشخصية المحلية ناهيك عن تثبيت الهوية الوطنية . فنجد ان المهتمين من الباحثين والاكديميين وضعوا علما مستقلا بذاته لدراسة الموروث الشعبي له نظرياته ومناهجه ، إضافتا الى الدراسات التي تقدمها العلوم الإنسانية والاجتماعية والآداب .فنحن في هذا الإطار سنحاول ان نقوم بدراسة بعض المأثورات الشعبية؛ باستعمال مبدءا لكل موروث شعبي خلفية اجتماعية تتحكم فيه . ونأخذ مجتمع إموهاغ أنموذجا لذلك .

– تعريف بعض المصطلحات :

01- تعريف الموروث الشعبي

أ) التعريف حسب البعد اللغوي لمصطلح التراث الشعبي : وكلمة تراث من فعل ورث يرث ميراثا أي انتقل إليه ما كان لأبويه من قبل ، فصار ميراث له ، وفي الآية الكريمة من سورة النمل يقول الله تعالى : (وورث سليمان داوود ....)1. وفي أية أخرى من سورة الأحزاب يقول الله جل جلاله : (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطوها.....)2 . وقال عز من قائل إخبارا عن ذكريا ودعائه إياه في سورة مريم : (.... فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب وجعله ربي رضيا)3 ، أي يبقى بعدي فيصير له ميراثي .

وكلمة تراث أصلها وراث فقلبت الواو تاء كما في قولنا تقوى وتقا وقي كثيرا ما تبدل التاء من الواو في نحو تراث وتجاه وتخمة و تقئ و اتقاء [4].

وفي العديد من الأمثال والحكم والمأثورات الشعبية، نجد دلالات تعليم الآباء الأبناء أساسيات الحياة.ذلك في إطار توارث سبل العيش من جيل نحوى جيل أخر. مثالا عن ذالك نجد هذا المثل الشعبي الذي يقول " صنعت بوك لايغلبوك "وغيره من الأمثلة التي تدل على ذالك.

ومن هنا نرى أهمية التراث في نقل كل ما هو جميل من العادات والقيم و الأخلاق الحميدة ، من جيل إلى جيل والحفاظ على القومية والهوية الوطنية واللغة من التلف والضياع 5.

ب) التعريف الاصطلاحي للتراث الشعبي : إن مدلول التراث الشعبي يميل تفكيرنا نحوى المد التاريخي لمصدره ؛ فمنذ نزول سيدنا ادم عليه السلام إلى البسيط بدأت التراكمات المعرفية الناجمة عن التجارب الإنسانية تنتج تماشيا مع نموا الحياة وتعقيدها ، ذلك راجع إلى الحتمية المتأصلة في كينونة الإنسان والمبنية على مبدءا ألا قبول لي ألا إجابة ، وتعد تفسيرا للفضول الإنساني والخيال والتخيل ، الصدق والكذب ، الإلحاح لمعرفة الحقيقة والخرافة والأسطورة ... الخ . كما أنها مرتبطة بالقصة والقصيدة والشعر ، القيم والخلاق وكذالك الضوابط الاجتماعية . كلها منطوية تحت نتاج تلك الحتمية التي زود بها المولى عز وجل الإنسان دون سائر المخلوقات.

حيث اجمع العلماء والباحثين من أدباء وعلماء العلوم الإنسانية والاجتماعية على تسميتها التراث الشعبي أو الإنساني أو الاجتماعي....الخ. إذن أمام هذا الاتفاق ما هو التعريف أو التعارف التي أعطيت للموروث الشعبي ؟

أن التراث الشعبي هو ما ينقل من عادات وتقاليد وعلوم و آداب وفنون وما نحوها من جيل إلى جيل حيث نقول تراث شعبي تراث أدبي . وهو يشمل كل الفنون و الموروثات الشعبية من شعر وغنى وموسيقى و معتقدات الشعبية وقصص وحكايات و أمثال تجري على ألسنة العامة من الناس ، وعادات الزواج والمناسبات المختلفة ،وما تتضمنه من طرق موروثة في الأداء و الأشكال من ألوان الرقص و الألعاب و الأغاني والحكايات الشفوية للأطفال ، و الأمثال والحكم والألغاز والأحاجي ، كذلك المفاهيم الخرافية والاحتفالات والأعياد الدينية .

التراث الشعبي يعتبر نتاجا للتراكم الثقافي والفكري المستمر، تعود جذوره إلى خبرات طويلة للشعوب، منذ ما قبل التاريخ وحتى وقتنا الحاضر جسد فيه الإنسان معاناته وأحلامه وطموحه المشروعة وارتباطه الكبير بأرضه واستمراره، ودفاعه المستميت عن حاضره ومستقبله.

لقد تكون التراث الشعبي - كما ذكرنا سالفا – داخل المجتمعات الإنسانية القديمة منذ بداياته الأولى نتيجة التفاعل الحيوي بين الإنسان وبيئته الطبيعية والاجتماعية والتأثير المتبادل بين المجتمعات المختلفة والثقافات المتجاورة و الأفكار المتباينة ليشكل في النهاية منظومة فكرية شعبية إنسانية عظيمة.

02 -**الخلفية الاجتماعية:**ان لكل سلوك اجتماعي ممارس من طرف البشر ، إلا وله خلفية اجتماعية ينطلق منها، فالانسان الواعي لا يسلك أي ما سلوك إلا وله دلالة اجتماعية تبرره . من هنا يمكن ان نعرف الخلفية الاجتماعية بكونها تلك المعتقدات أو القناعة التي يتخذها الفرد أو الجماعة تبريرا أتصرفاتهم السلوكية في المجتمع .

بناء على ذلك نجد ان لكل موروث شعبي خلفية اجتماعية تقف وراء حدوثه ومن اجل فهمه يجب معرفة ماهية الخلفية الاجتماعية التي اوجدته . ومن هنا كان منطلق دراستنا هذه حول الموروث الشعبي عند مجتمع اموهاغ.

03 - **مفهوم المخيال :**إن مصطلح المخيال (L'Imaginaire) لا نكاد نجد له استعمالاً في العلوم الاجتماعية والإنسانية الأنجلوسكسونية، في حين استعمل بنحو واسع في الثقافة الفرنسية للعلوم الاجتماعية والإنسانية. وليس في هذا الأمر غرابة. إذ إن مفردة المخيال (L'Imaginaire) قد ولدت على أيدي عالم التحليل النفسي الفرنسي جاك لاكان

(Jacques Lacan)في منتصف هذا القرن، وقد استعملت الأنثروبولوجيا الفرنسية مفهوم المخيال الجماعي فعرفته على النحو الآتي: "المخيال الجماعي هو مجموعة من المتمثلات (Représentations) الأسطورية للمجتمع[6]."

فالمخيال هو الإطار الجماعي الذي يوجه ويحدد طبيعة مسيرة المجتمعات وحضاراتها، كما يحدد ما يُسمّى في العلوم الاجتماعية بالشخصية القاعدية (Basic Personnalité) لمسار الفرد وسلوكه. إذن المخيال هو روح الثقافة الشعبية ، فعن طريقه يتزود الفرد بثقافة الجماعية فهو الذي يميز ثقافة مجتمع عن الأخر ، ففي مجتمع إموهاغ نجد ان المخيال يلعب دور مهم في نقل الموروث الشعبي ، حيث يسعى المخيال الاجتماعي نحوى ترسيخ بعض المعتقدات الشعبية التي تساعد على استمرار بعض السلوكيات التي ينتجها المجتمع ، فلا تخلوا جميع الرموز في التراث الشعبي من بعد اعتقاد ، والذي يستند في تحريكه على المخيال؛ الذي يجعل الفرد يشعر بالانتماء الى ثقافة مجموعة ما من منطلق نشئت ونمو الشعور الجمعي لديه ، فهو يتصرف ويتفاعل من منطلق الشعور الجمعي لديه . وهذا ما يفسر أوجود الضمير الجمعي لدى الشعوب ، اتجاه ما يؤمنون به من الأفكار .

04- **الاعتقاد الاجتماعي:**الاعتقاد أو العقيدة Relief هي مجموعة الأفكار و المبادئ التي يؤمن الفرد بصحتها . يتم تبني العقيدة عن طريق الإدراك الحسي perception ، الاستنتاج reasoning ، الإتصال communication مع الأفراد [7].

مصطلح عقيدة يتداخل مع مفاهيم أخرى مثل الإيديولوجيا و العقائد الدينية .هناك تفسير آخر للعقيدة، وهو المرتبط بالجانب العسكري منها ،وهى تلك المفاهيم، والأفكار التي عقد الإنسان عليها قلبه، وجازما بها، وأنه متفق على أهميتها وصحتها لفترة زمنية معينة، وهى تتطلب الحكمة في التطبيق، لذا فلا يمكننا القول إنها غير قابلة للشك، بل تخضع للتدقيق ، وبصورة مستمرة، لذا فهي خاضعة للتطوير، والتحديث، حيث أنها إطار عام من المفاهيم، وليست خطا قاطعا كما يتصور الكثيرون، وإذا لم تخضع للتحديث ، فإنها بذلك تصبح غير ذات فائدة وأهمية، وتكون غير قادرة على مجارات متغيرات الزمن منذ ولادتها. وإذا لم تخضع للتطوير فإنها تصبح ما قد نسميه بالمذهب.وينتفي عنها لقب العقيدة . أما الإسلام فهو دين. وهو يختلف عن ما نقصده بالعقيدة .

وفي دراستنا هذه نأخذ بمفهوم الإعتقاد ؛ تلك الأفكار التي يؤمن بها المجتمع كأساس لممارسة الطقوس والعادات والتقاليد والفنون الشعبية، ويجعلها منطلقا لتبرير تصرفاته وافعاله ؛ تفسر لنا منطلق تمسكه بما يفعل من تصرفات.

أ) الاعتقاد المصدري: ونعني به تلك الأساطير أو القصص أو الأفكار ، التي يداولها المجتمع ويستندون اليها في حياتهم حول الظواهر التي يمارسونها تبريرا لوجودها ، داخل النسق النشاط الاجتماعي ، حيث نجد ان كل االسلوكيات والتعابير والفنون الشعبية عند الشعوب، لها قصة أسطورية تحكي عن سبب أجودها او لها مصدر اعتقادي ياسس لوجودها، ذلك بناءا على قاعدة لكل سلوك مبرر لفعله[8].

ب)الاعتقاد المثبت: هي تلك الاعتقادات التي تجعل المجتمع يحافظ على استمرار الممارساته الشعبية منها ما هو متعلق بالأساطير الشعبية، ومنها ما يكون متعلق ببعض الأدوار الاجتماعية التي قد توكل لتلك الممارسات الشعبية تبريرا لما تقوم به من وظائف في النسق الاجتماعي[9].

- **مظاهر المخيال في بنية الموروث الشعبي عند إموهاغ :** ان لكل التراث مخيال ينبني عليه ، ففي هذا المقام سنحاول ان نقف على بعض مظاهر المخيال التي تحرك الموروث الشعبي عند إموهاغ ، سنحاول ان نعطي بعض الأمثلة ، حسب نوع المخيال والاعتقاد الذي يحركها .

فعن المخيال الأسطوري نجد ان العديد من التصرفات الشعبية هي مبنية على هذا المخيال ، فمن بين هذا الموروث نذكر ما يلي :

هناك العديد من القصص والحكايات الشعبية التي بنية على أساس المخيال الأسطوري فنجد أنها مـــرتبط بعـــالم الغيب والجن والقوى الخفية مثال حكاية الجبل المتواجد في منطقة مرتوتك الذي يشاع عنه ، انه يســـكنه الجـــن ؛ وأي شخص يصعد إليه لا يعود ، وفي الليل تقام فيه تندي التي يشرف عليها نسوى من الجن ، فهذا الاعتقاد سائد حتى الآن بين أوساط مجتمع إموهاغ خاصة في هذه المنطقة ، فهنا نلاحظ ان المخيال الأسطوري كان سائدا عند إموهاغ ناهقار ، كما ضمن استمراره ذلك لكون ان المخيال الأسطوري في هذه الحالة قوي عكس المخيال الأسطوري الذي يحكي عـــن ضريح " أدبني " الذي له القدرة على أعطى الأخبار ، ذلك برغم من ارتباطهما بنفس مصدر المخيال إلا وهو الجـــن . وهناك مخيال أخر مرتبط بالأرواح الشريرة مثل تفسير سبب ارتدى اللثام عن إموهاغ فهناك من يفسرها بان إموهـــاغ يخافون من دخول الأرواح الشريرة عن طريق الفم والأنف 10. وهناك الكثير من أفعال الموروث الشعبي التـــي لهـــا ارتباط بالمخيال الأسطوري ، منها ما شهدت استمرار في الوسط الاجتماعي ، منها ما تلاشت بحكم تلاشي المخيال في الأوساط الاجتماعية .

- **الفنون المرتبط بالخلفية الاجتماعية:** إن الحديث عن العادات و التقاليد يجرنا إلى معرفة الإرث التفافي الاجتماعي التقليدي للمجتمعات و الذي يمثله الجانب الفني و الفلكلوري الشعبي من رقصات موسيقية و طقوس . و إنه لمن دواعي الحتمية أن يمارس إموهاغ أنواعا من النشاطات الثقافية الأصيلة ضمن عاداتهم و تقاليدهم العريقة ، و أن ينتجوا عبـــر العصور التاريخية ثروة طائلة من الأدب الشفوي و الفنون الشعبية ، حيث أن إموهاغ مولعون بالموســـيقى و الغنـــاء و الرقص و يتخذون لذلك آلات موسيقية رئيسية مستعملة و تحمل أسماء رقصات و قصائد مأثورة خالدة ، و من بين هذه الفنون نذكر ما يلي :

أ) إمزاد زمر النبالة عند إموهاغ: تعتبر آلة إمزاد من أجود الآلات الموسيقية و أشدها تأثيرا على إموهـــاغ و لاســـيما الرجال منهم ، حيث يتم استعمالها في الطرب و الغناء و المواويل الشعرية التي تؤثر في النفوس و العواطف و تنقيها ، وهذه الآلة يرفقها في السهرات أشعار مواضيعها بصفة خاصة ، مواضيع الحب و الوحدة و الغيب و الخوف و الحرب ،لهدف زيادة شجاعة لأماهغ و يشحذ همته ،كما يرقي بالنفس لتترفع عن كل ما يدنسها كالخيانة و الخديعة و النميمة أو الكذب و السرقة و الفاحشة و غير ذلك من العيوب و الآفات الاجتماعية .

إن هذه الآلة المحلية الصنع تشبه في شكلها تماما العود العربي في هيكلها ، و هي مصـــنوعة مـــن الكوســـى " تزنوت "و أعراف الجواد " إمزدن-نيس " ، و يروى أن تين هينان صنعت إمزاد من عـــرف جودوهـــا و مـــن نبتـــت الأرض . والتي هي معجزة للرجل ذوي الأناقة و الشهامة.

إمزاد هي الآلة التي تعزفها النساء المؤهلات ، وليس للرجال فيها حقا ، أما إمزاد كتسمية فهي مشتقة من أمزاد أي شعرة أو الشعر _ إمزادن _ هذا يعني أن إمزاد أخذة اسمها من شعر الجواد الذي يدخل في صنعها . ففي تصـــنع من تزنون (القرعة) و عود الطلح ، حيث تقوم المرأة بتثبيته على تزنون ثم يوضع عليه قطعة من جلـــد المـــاعز ، حيث في النهاية تأخذ شكل الربابة لكن في إمزاد نجد هناك يثبت شعر الجواد بشكل وتر واحد ومن جهة أخرى تـــأتي بعود من طلح مقوس وتربط بطرفيه شعر الجواد ، أما عن العزف على إمزاد فلا يسن إلا للنســـاء ؛ هـــن صـــانعاته والعازفات عليه.

1) **أسطورة تاريخ ومصدر إمـــزاد** : لا يختلف اثنان في كون جميع المظاهر الفلكلورية الشعبية ، منها الفنية ، في كون لها مصدر أو مرجع قصصي تستند له ، فان الوقوف على إمزاد يجرنا للبحث عن القصة أو القصص التي تروى عـــن سبب أوجودها ، لذا نحن ألان سنحاول سرد أشهرها في منطقة أهقار .

إن العديد من رواة قصة إمزاد يتفقون على ا ناول من صنعة آلة إمزاد هي امرأة عجوز ارقها الصـــراع الـــذي كان بين رجلين من إموهاغ من نفس القبيلة – منهم من يقول أنهم إخوة – حيث كانا يتعاركان بسيوف حتى قدمت هـــذه

العجوز فجلست على تله فأخذت تعزف على الآلة حتى سمعها المتبارزين فدنيا إليها للاستماع إلى الصورة السحري الصادر من هذه الآلة العجيبة . من ذاك الزمن أصبحت إمزاد رمزا للسلام والسلم عند إموهاغ . فلإمزاد نظم خاص به من الناحية الاجتماعية و الموسيقية .

2) **الجانب الاجتماعي**: الذي نجد في مركزه المرأة التي هي المحور الأساسي في تفعيل هذه الموسيقى , حيث لا يمكن أن يعقد إمزاد إلا بحضورها لكي تدنو للعزف على آلة إمزاد بصمت وياتي المؤهل من الرجال لكي يقوم بمحاصرة ألحانها _ إن صح التعبير _ فمواجهة الحان إمزاد ليست متاحة لكل من الرجال ، ولا يحضر مجالسه إلا من ارتقت أنفسهم لمجلسه .

3) **الجانب الفني الموسيقي :** كما لإمزاد نظام اجتماعي يضبطه له نظام موسيقي يسير عليه يبدءا بأمغار نيزلان أو الساق الرئيسي الذي تتفرع منه أغصانه, فلكل غصن لحنا يلزمه ، وتزداد درجة الصعوبة في الشد على آلة إمزاد من غصن لأخر ، ولكل " أظل – غصن " من هذه الأغصان قصيد أو قصائد ترافقه.

فتعلم المرأة لإمزاد يجب ان يحترم أبجديات موسيقية محددة حسب الأغصان ، حيث أساسها هو " أمغار نظلان – عمود أو رئيس الأغصان "، فكل فتات تتمكن من السيطرة على جميع الحان إمزاد يمكنها ان تجاري أصحاب القصائد بعزفها على إمزاد .

أما موضوع قصائد إمزاد والتي يلقيها الرجال المؤهلين فهي مختلفة المواضيع ، حيث نجد منها ما يحكي عن البطلات في الحروب ، وهناك من يحكي ان معانات السفر أو الوحدة ، وقد تكون عبارة عن المدح لزعيم وجمله . في العموم مواضيع إمزاد تدور حول الأخلاق الحميدة والسمات الحسنة التي قد يتصف بها الفرد .

ب) آليون وسيلة لإيصال النصائح لزوجين : ان الحديث آليون يجرنا الى البحث عن الكلمة ، في لغة تماهق عند إموهاغ ، فهناك من يرجع الكلمة إلى شجرة آليو هي شجرة متواجدة في الصحاري ، يستعملها الحرفيين في صناعة راحة الحمار ، كما تدخل في العديد من المصنعات الخشبية ، وهي شجرة جميلة المنظر شديدة اخضرار الورق ، عودها مرن سهل الإلتوى ، لذا يستعمل في صناعة العديد من الأشياء ، وتعتبر مصدر كلا للماشية ، فجمع كلمة آليو هو آليون ؛ فبتعدد وظائفها في الحياة وجمالها أخذها إموهاغ في ضمن المسميات الفنية لديهم ، وهي اسم لأهم الطبوع الفنية عند إموهاغ .

ولآليون أسماء أخرى منها إتلوين ، وهي تلك القصائد من آليون التي تزف بها العروس من بيت أهلها الى خيمة عروسها . أما آليون في القصائد التي يرقص على أنغامها الجمال ، وتسمى أيضا بإيلوقان .

أما عن الآلة التي تستعمل في آليون فأسماء " قنقى" وهو نوع من انواع الدفء الذي يصنع من جذور الشجر وجلد المعز ، حيث يتم تشكيل جذور الشجر على شكل دائري على شكل قرص حيث يكون قطره 35 سم الى 40 سم ، أما عرضها فيكون مابين 10 سم الى 15 سم ثم تغطي من الجهتين بجلد المعز . فيضرب عليها بعصا منحنية مصنوع من شجرة آليو ؛ وقد يكون أساس التسمية مرده هذا العصا .

وما القصائد التي تتغنى بها في الإعراس والتي تتغنى بها النساء طيلة أيام التحضير وأيام العرس (سبعة أيام بلياليها) والتي تحمل معاني التنويه للعرس وتوصية للعريس. إذن هي عبارة عن رسائل اجتماعية تحمل الحكمة والموعظة ونصائح حول الحياة الأسرية ، وما يجب ان يكون عليه الزوج والزوجة من مستوى في العلاقة الأسرية ، التي هم مقبلون عليها ، كما نجد فيها قصائد تحكي عن مكانة المرأة قيمتها في البناء الاجتماعي ، كما تحمل مدح لزوج والزوجة . من اجل ذلك نأخذ القصيدة التالية من اجل تحليل محتوى فيها:

وهي القصائد التي تتغنى بها النساء في الأعراس، وتعتبر وصية خاصة للمرأة التي تودعها بها الخالات وفيها مخاطبة للعروس وأحيانا تجد فيها نصائح موجهة للعريس من طرف الأم ونجد اغلبها محفوظة لدي الخالات أو تقوم الخالة بإنشاء خطابها الخاص ويكون على نفس النمط من مثل ان تبدأ بذكر اسم الله:

بسم الله .. بسم الله ...بسم الله
آلس وانسدوبن
تهولكي تضجالتنك
تهولكي تضجالتنك
تناك اقظاس يلليس
آراس تدبونت تينسي
أرآس الخرير تيلي
ورتت اينيلي أنساكان
ورتت أر إينيلي انفودان
واد إرازان إهيبقان
تقالت انَّم توار أونان
تمسكننت ايتمام
ورترظا اغسان دغ ماس
ورتزغشم آيتماس
ورتر تمارت دغ تيس
ما فل سادرغ شاكشيغ
سالسغ اوراغين وليغ
آهال وادغ آكوتوغ
آديرمس أواليغ
ليكوم أسلام آلس
انكر جقجرم
دوناف

ورتنفى سيقني توسيك11

الترجمة الى العربة :

بسم الله .. بسم الله .. بسم الله
الرجل أيها العريس
تسلم عليك نسيبتك
تقول لك أرعى لها ابتنها
أكرمها وضيفها بأكياس تمر
اصنع لها مظلات من حرير
اعلم أنها لا تأكل إلا الذرة النقية الصافية
وأنها لا ترتدي إلا خلاخل من فضة نقية وصافية

فالتعلم بأنها مطيعة وذات الوفاء
هي الأجمل في إخوتها .....

تحليل محتوى هذه الأبيات

احتوت هذه القصيدة على الكثير من النصائح موجهة العروس وموجهة للعريس وهي كلها مطالب والتماسات معقولة من لدن أم العروس ، التي بدأتها الملقية بالبسمة دلالة على ثقل الأمانة التي يحملنها الى العريس ، حيث توصي فيها أم العروس زوج ابنتها بان يحيطها برعاية ، كما يجب عليه ان يقدر قيمتها عند أهلها، وأنها كنزا في بيت أهلها ... فما نلاحظه من هذه القصيدة هو ان قصائد آليون هي عبارة عن مواعظ تلقيها النساء على الزوجين معا ، ذلك نقلا عن لسان أم العروس التي لا تستطيع ان تأتي إلى خيمة العروس كون ذلك من بين الأمور التي يمنعها القانون العرفي عند إموهاغ ، حيث نجد ان أم العروس لا يتسنى لها لقاء العريس حتى مضي أسبوعا كامل ، والذي بعده يأتي العريس الى خيمة أم العروس ، ليسلم عليهم ، هذا ينطبق على أب العروس ، وأب العريس ، أما أم العريس فبإمكانها أن تأتي إلى خيمة أبنها ، في ذلك الأسبوع الأول من زواجه .

ج) تيندي أساس الحوار والترابط الاجتماعي : تصنع آلة تندي من مهراس خشبي مصنوع لأجل تفتيت التمر والذرة ...الخ . حيث يوضع عليها جلد ماعز الذي يثبت بواسطة قضيبيين خشبيين ، تجلس عليهما امرأتان ماديات حركات تماشيا مع الإيقاع منظمة لآلة تندي ، ما يلاحظ عن طبل تيندي انه الوحيد الذي يتم ترطيبه بواسطة الماء حيث ان الماء يساعد على تمديد الجلد الذي يشده الخشبيين ، حتى يصدر الحان جميلة ، يستمتع بها الجالسون حولها. يشارك في تندي الرجال والنساء بتصفيق وترديد الموال تماشيا مع القصائد التي تؤديها المغنية ، وهي فرصة لتلاقي والتعارف والاحتكاك بينهم (العزاب والعز بات) بكل عفة ونزاهة . وتأخذ تندي أشكلا متنوعة منها:

01) تندي العادية: ويجلس فيها الرجال والنساء على شكل دائري، النساء من الداخل والرجال من الخارج أي على حافة الدائرة. وعادة تقام في الليل وقد يمد سهرهم إلى أخر الليل. ويحصر جلساتها العزاب في جلسات سمر

02) تندي-أن-اكرهي : يتم انتقاء أجمل الفتيات في الحفل ويوضع فوق رأسها لحاف اسود من أنيلة يسمى ألشو وهو كالخمار يدعى اكرهي ، ويقوم احد الفرسان الممتطين الإبل بمحاولة اختطاف ذاك اللحاف من على رأس الفتاة ، ومتى توصل إلى ذلك ، طرده بقية الفرسان عدوا من اجل أعادة الخمار إلى صاحبته وبحركات درامية ، بحيث من توصل إلى ذلك يحصل له الشرف ان يكون فارس أحلامها الفضل ويتقاسم بعيره معه الشرف . كما أن أغلبية قصائد تندي تدور مواضيعها حول الحرب والحب والشهرة والكرامة والعطف والثار وغير ذلك من القيم

د) تزامرت (تغنيبت) أنيس الراعي في بعده عن المخيم : هي آلة موسيقية مصنوعة ممن عود القصبة حيث يتم تفريغها لتصبح على شكل أنبوب ثم تحفى بثقوب من اجل التحكم في أنغامها وهي آلة رجالية الصنع و العزف ، والمعروف أن الرعاة هم من يعزف عليها . أما تسمية تغنيبت هي مأخوذة من الشجرة المصنوعة منها أي تغنيبت (القصبة) . لكن شهرة تزامرت اقتباس من التسمية العربية الزمارة

02)الأسطورة التاريخية ومصدر تغنيبت : إن الحكاية الشعبية تروي أن تغنيبت ، استعملت أول مرة من طرف راعي .... حيث كان وحيدا فاشتدت عليه وحدته ، ثم فكر مليا من اجل إيجاد حل وحدا لوحدته فوجد أمامه عودا من لكرنكة(تورهى tourha)- وهي شجرة صحراوية أوراقها كبيرة وعودها أجوف ، متواجدة في ربوع صحراءنا – فأخذه و تأمله ، حيث لاحظ أن حشرة صنعة فيه ثقبا ، واصل التأمل فوجد أن العود أجوف ، فاخذ عود طلح فادخله في التجويف ، ثم قام بتحريكه من اجل إخراج ما في داخله من مكنونات ، بعدها اخذ ينفخ فيها فبدئت تصدر صوت غريب والحان عجيبة ، فقام بزيادة ثقبت بقرب من ثقبت الذبابة ، تغير الصوت و يحلا ، فزاد ثقبا أخرى حتى أصبحت الآلة تعطي أجمل الألحان عند عزفها .

بعدها بأيام لاحظ أن هذا العود هش ليس بمتين فأنتظر حتى ذبحت معزة ، فاخذ من الأنبوب الهضمي فوضعها فيه ، فأصبحت محمية .

وفي ذات المرات وجد شجرة القصبة (ألمس) ، فبعد تأمله لها وجد أنها صلبة و جوفا فصنع منها تغنيبت . وعليها أخذت الاسم ، لان عود القصبة يطلق عليه هي تماهق (تغنيبت) ، وهناك من يصنعها لان من أنابيب حديدية لتغنيبت جانبين اجتماعي وفني ، سنحاول ان نتناولهم فيما يلي:.

02) الجانب الاجتماعي : ان تغنيبت مرتبطة بالرعي وحالة الوحدة في آلة رجالية يستأنس بها الروعة من الرجال أثناء ابتعاده عن مخيمه ، حيث أنها تآنسه في البراري ويتأثر بأنغامها ، كما تأثر كذالك أنغامها على الماشية التي يرعها فتتجمع بمجرد الاستماع إلى أنغامها ، حيث كان الراعي يحاكي الماشية عن طريق أنغام تزامرت الساحرة .

أما لان نجد ان تزامرت في منطقة أهقار وازجر فقل من يعزف عليها ، والعازفون ليسوا مرتبطين برعي فقط ، رغم أن اغلبهم كانوا متأصلين فيها ، وهذا العزف أصبح مرتبط بعدة مناسبات اجتماعية ، بعد ما كان مرتبط بالوحدة و الابتعاد عن المخيم.

03) الجانب الفني الموسيقي :

ان تغنيبت تنهج نفس النهج الموسيقي لمزاد ، لكن هناك بعض الإضافات حيث نجد أن العازف على تغنيبت يحاول إعادة الحان الموسيقية لإمزاد ، ذلك محاولة منه لكسر الجمود الوحدة والابتعاد عن المخيم . وهناك من يحاول أن يتقرب الى بعض قصيد تيندي.

لكن تغنيبت لم تبقى عقيمة حيث حاول عازفوها الإبداع في ألحانها منها نجد الألحان الوحشة والوحدة و الإعجاب بجمال الطبيعة ، كما نجد ان العازف دوما يحاول التعبير عن ما يجوب بداخله من معانات و أسرار مكنونة في وجدانه ، ذلك بعيدة عن التغذية الفنية للمجتمع ، التي تكون المرأة هي ركيزتها، فيتخذون اللحن الحزين ملجأ لهم و مؤانسا في بعدهم عن المخيم ، فكل مستمع لتزامرت تأخذه ألحانها ، متجولا في أعماقه متفحصا حاله أ فحتى جلساتها يسودها السكون و الشرود الذهني لسامعيها ، وكأن تزامرت تدعوك للوقوف مع ذاتك وحالك متخذا الوحدة ملاذا من اجل محاورة الذات .

04) العلاقة بين إمزاد و تغنيبت (تزامرت) ، ما هي ؟

ان الكلام عن تغنيبت و إمزاد يجعلنا نقف على ما يلي :

- إن إمزاد تصنعه المرأة وهي الوحيدة التي يسمح لها العزف عليه . أما تغنيبت فهي من صنع الرجل وهو الذي له الحق بالعزف عليها .

– إمزاد ترفق بقصائد يلقيها الرجل محاصرا ألحانه ، ولا يجلس في مجلسه إلا لمن ارتقت نفسه لمستواه ، حيث يجب عليه أن يتجرد من كل رذيلة وتصفوا نفسه إلى العلى . أما تزامرت فهي موسيقى صامت ، لا ترفق بالقصيد .

– إمزاد له مجلس موقر يلقى فيه ، كما انه مجال للحديث عن مجريات المعارك و الأسفار ..... ويكون في حال السمر أحيانا . أما تغنيبت (تزامرت) فاصلها الوحدة ، لكن تقام في المجالس من اجل السمر .

الفنون المرتبط بالعمل

أ) تزنغراهت أداة لراحة من متاعب العمل اليومي :هي مشتقة من "ازنغريه " بمعنى التصويت بواسطة الحناجر ، أوهي تلك المواويل يصدرها الراقصون وهي عبارة عن أغاني تغنيها النساء ويرقص على ألحانها الرجال ذلك بإصدار أصوات حنجرية توازن موال النساء والتي تتناول مواضيع مختلفة ، حيث تتم على شكل دائري وقوفا ، النساء يشكلن دائرة أو نصف دائرة ذلك بترديد الأغاني التي تغنيها الرئيسة وتدعى "تماويت12" أما المرددات ورائها" تيساكبالين " ،

حيث يصفقن ويرقص الرجال على ذلك بإصدار أصوات حناجرهم "ازنغريه" ، حيث يبلغ تأثير علـــى الراقصـــين حـــد النشوة والإغماء .

ب) إيسوات فرصة لاستعراض الشباب لمهاراتهم : وهي رقصة يؤديها الشباب تحت أهـــازيج النســـاء (بـــدون آلات موسيقية)حيث يدورون حول المغنية الرئيسة التي تدعى كذالك إيسوات في مشهد درامي يرقص فيه كل شابين أو أكثر في حركات منسجمة وذالك يتم بوضعية تعانقيه بينهم هذه الطبوع الفنية متوارثة أبا عن جد منها ما احتفظ عليـــه حتـــى ألان مثل تندي تزنغراهت وآليون .....الخ،حيث يحتفل بها عند المناسبات الدينية والوطنية وكذالك الأعراس والأفراح وقد ادخل على بعض منها آلة العود التي يغني على إيقاعها الرجال دون النساء ومن بين هذه الفنون تندي و إيسوات .

01) قصيدة إيسوات:وهي موشح شعري يرافق رقصة شعبية عند التوارق تمارس في منطقة تامنغست وإقلـــيم تمســـنا نيجر وبمالي وكذلك منطقة أجر

تَرْغَى أَقْدِلِسيتْ دَالَاتْ تَنْتَمْ
ترِّيدْ لَـــنْ وَاتْ دَسْ قَمْقَمْ
أَسْقَا تَاكَّظتْ نَسْوْلْ لَمْلَمْ
إِنْ تَشْبِكـــــــا تَالَقْ تَنْتَمْ
سِيلْـــكَامْ بِيبِي يَغْبَارْ تَرْغَمْ
شَقَـــرِينْ يُوسِينْ يَسِيلَنْكَمْ[13]

تعريب المقطع:

اشتعلت حرارة الضحى وصعبت
وزهو تيندي قائم تيندي(دس قمقم)
عصرا أحطنا بجمالنا
ونتشبكا ظرفها كامل وجلي
يتبعها بيبي يركب جملا جميلا
طويل وجاء مرادفا

02) تحليل المضمون القصيد: القصيد تحوي العديد من الوقفات ، تصف فيها المغنية الطبيعة واحوالها ، حيث وقفـــت متأملة جو أضحي ، ثم ذهبت لتعطي انطباعها عن جمال أيلوقان التي تحدث مساء ، حيـــث هنـــاك اســـتوقفها جمـــال معشوقها "بيبي" هو وجمله . وفي القصيدة العديد من الألفاظ الغير مفهومه دالة على قدم القصيدة ، الذي يفســـره مـــوت هذه الألفاظ ومثيلتها في القاموس المستعمل عند المجتمع حاليا

ج) تهيقالت فن العزوبية عند إموهاغ : وهي آلة خفيفة على شكل دائري مصنوعة من الخشب وجلد الماعز تســـتعملها النسا ء في الأغاني بينما يرقص الرجال على إيقاعها ولما كانت تهيقالت تعني العزوبية فقد تتحمس للغناء المرأة التـــي في حاجة إلى السند والنصف الآخر ومن تم حمل هذا النوع من الأغاني كل معاني الرغبة وما في عش الزوجيـــة مـــن راحة واطمئنان.

إن ما يلاحظ على الفلكلور الشعبي عند إموهاغ هو أن النساء تغني وتصفق ولا ترقص أبدا، والرجال هم الذين يرقصون إما رقصا عاديا أو ركوبا على المهاري . لكن ما حدث مؤخرا لدى دخول الآلات الموسيقية العصرية وكـــذا احتكاك ثقافة إموهاغ مع الثقافات الإفريقية والشاملة الجزائري ، اظهر عدة عادات جديدة على الفلكلور، وهـــي رقـــص

النساء في بعض المناسبات أو الحفلات النسوة ، مثل رقصة الطبل الآتية من تيديكلت وتوات ، وكذا تغني الرجال في جلسات العود خلافا لما سبق ، حيث كان الغناء من نصيب النساء .

نتائج البحث

01- لكل مادة أثرية خلفية اجتماعية هي أساس أوجوده في الإطار الاجتماعي ، وهي المحددة لدور والمكانة له في داخل الحياة الاجتماعية .

02- يعتبر الاعتقاد الاجتماعي القوى المحركة لكل موروث شعبي ، كما أنها تعتبر مرجع لضمان استمراره في المجتمع بمعية التغيرات التي يشهدها المجتمع . في نفس الوقت يعتبر ضعف الاعتقاد الاجتماعي لكل موروث سبب في إضمحلال الموروث الشعبي في التناول الاجتماعي ذلك تحت طائلة التغيرات التي يشهدها المجتمع .

03- المكانة الاجتماعية للمرأة في النظام الاجتماعي عند إموهاغ ، كانت وراء اتخاذ المرأة المكانة المركزية في تحريك الموروث الشعبي المعنوي داخل النظام الاجتماعي ، حيث تعتبر المحرك الأساسي للطبوع الفنية الشعبية .

04- لكل موروث شعبي معنوي دور اجتماعي أو وظيفة اجتماعية يقوم بادئها ، فهناك من التراث الشعبي الذي شهد اختفاء في الوسط الاجتماعي بسبب اختفاء الدور الاجتماعي الذي يقوم به .

05- كلما كانت الدور الاجتماعي للموروث مستمر ضمن الحياة الاجتماعية، كلما ضمن الموروث استمراريته في البناء الاجتماعي.

المصادر والمراجع :

---

[1] - المصدر القران الكريم ؛ من سورة النمل الآية رقم (16) .

[2] - نفس المصدر ؛ من سورة الأحزاب الآية رقم (27) .

[3] - نفس المصدر؛ من سورة مريم الآيتين رقم (5 - 6).

[4] - عبد الهادي الجوهري ؛ قاموس علم الاجتماع . المكتب الجامعي الحديث ، الازاريطة ، الاسكندرية . الطبعة الثالثة ،مارس 1998 .ص :199

[5] - موقع الشاعر ، صالح زيادنة www.khyma.com

[6] - عبد الهادي الجوهري ؛ نفس المرجع السابق . ص: 202

[7] - منتدى جرح الامارات ؛ مدخل للتراث الشعبي . تاريخ الاطلاع 2009/06/03 على الساعة 14:48 ص : 13 .

[8] - زندري عبد النبي ؛ الخلفية الاجتماعية وبناء الموروث الثقافي اللامادي . أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم . جامعة الجزائر -02- . 2013/2012 . ص :23 .

[9] - نفس المرجع ؛ ص:23 .

[10] - محمد السويدي ؛ بدو الطوارق بين الثبات والتغير .

[11] - خديجة من مدينة تامنغست، 68 سنة .تمت المقابلة في يوم فيفري 2011 ، على الساعة 17:30

[12] - تماويت : تعني المرأة المغنية وتساعدها في ذلك تساكبالت وتعني المرأة المساعدة بموال القصيد ذلك في اللغة التارقية (تماهق) وجمعها تيساكبالين .

[13] - خديجة . نفس الشخصية السابقة في نفس يوم المقابلة والساعة